مَبَاحِثُ فِي سِرِّ الدَّعْوَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

د. عبد علي سفيح
أستاذ وباحث في وزارة التربية
والتعليم الفرنسية

فحوى البحث

مجموعة أبحاث ارسل بها الباحث الى مجلة المصباح اختارت المجلة منها بحثين في ميدانين اكتسبا اهمية خاصة كونهما موضحين لموقف القرآن الكريم من امور لم يثبت فيها المفسرون – القدامى والمحدثون- على رأي ناجز وهما:

١- دعوى استعمال القرآن الكريم بعض المفردات التي توحي بانها غير عربية، وهل هي حقاً كذلك؟. اذ ان هناك من ينكر وجودها محتجاً بان القرآن عربي بمفرداته واسلوبه. فكيف يحل هذا التناقض بين المدعيين؟.

٢- حقائق قرآنية في مسألة وحدة الدين على مدى ظهور الاديان السماوية [الحنيفية- اليهودية – النصرانية – الاسلام] فالقرآن يسمي اصحاب تلك الديانات [مسلمين].

٣- شهادة القرآن الكريم بصحة نزول التوراة والانجيل من عند الله. ولكن هل هما الكتابان الموجودان بين ايدينا والمسميان [بالكتاب المقدس]؟. وميادين اخرى تعرض لها بالبحث والتحليل.

وقد قدم السيد الباحث لبحثه بمقدمة مستفيضة اشاد منها بمجلة المصباح وبالطريق الذي انتهجته في بث علوم القرآن الكريم.

المقدمة

في المقدمة أود الأشادة بمجلة المصباح. هذه المجلة التي تعد شمعة عراقية في منبت حسيني. علمي، وهي مجلة المصباح التي تعدّ شمعة حسينية عراقية تنير الطريق وتأبى المغيب. وهي صورة واضحة المعالم لحركة المفكرين العراقيين في وقت غروب معظم العقول.

وقبل البدء بالحديث أرغب في التأكيد على أن كلامي هنا يتعلق بمادة تخضع للبحث والدراسة. وكل ما أكتبه هو اجتهاد شخصي فيه الصواب والخطأ غير المقصود. اذ أني أدرس الظواهر كمن ينظر في التلسكوب الى الاجرام السماوية وهذا البحث لا يمس مساحة العقيدة ولا مساحة الشريعة لأن تلك المساحتين تحتاجان الى رجال ضالعين في اللغة والتفسير والتأويل أي رجالاً مجتهدين وصلوا الى درجات عليا في العلم وأنا بعيد كل البعد عن هذه الكفاءات. وفي هذه الورقة البحثية احاول ان أمس المساحات الأخرى وهي المساحة التأريخية والاجتماعية والسياسية التي أعلن عنها القرآن الكريم في محطات مختلفة على شكل ظواهر. وليس لدي أي شك بأن القرآن هو منزل من السماء على صدر رسول الرحمة محمدﷺ، وهو أفضل مصدر لتفسير بعض الظواهر القرآنية. ولايوجد كتاب أصدق من القرآن وحافظ عليه المسلمون بعيدا من التزوير والتغير بارادة الاهية) فالقرآن الكريم هو أصدق مصدر لدراسته من قبل علماء العقيدة والشريعة والتأريخ والأدب والفلسفة والاجتماع، فهو كتاب الحياة. فأول آية نزلت في القرآن هي آية: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[سورة العلق: ١]. وهنا نتسائل ماذا يقرأ رسول الله؟. انه، يقرا الخلق. أي: يقرأ الحياة. فالقرآن هو كتاب الحياة. فمن أراد أن يفهم الحياة، فليتبحر فيه.

والقرآن الكريم كان وما زال محورا لكثير من الدراسات منذ اللحظة الأولى لنزوله على صدر الرسولﷺ. وعلى الرغم من تنوع هذه الدراسات وتعددها، وما بذله العلماء الاجلاء فيها من جهود مضنية للاحاطة بكثير

من جوانبه، فقد بقيت هذه الجهود قاصرة، وشاهدة بذاتها على أن النص القرآني يتجاوز كل طاقات النفس البشرية. وعلى الرغم من توالي الأحقاب والسنين، وتنوع الاعمال التي ألفت حول القرآن الكريم ودراساته، فقد بقي المجال مفتوحا لأعمال أخرى تضاف الى الأعمال السابقة، وتسد فراغا لا تسده مجتمعة أو متفرقة.

والقرآن الكريم دعوة. وكل دعوة تدعو الى الحوار والدعوة ليست كالجدال. ولذا وصف القرآن الكريم نفسه بأنه ﴿كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [سورة الحج: ٨]؛ [سورة لقمان: ٢٠].

ومنذ أكثر من قرن من الزمان لا يوجد حوار صريح بين الاديان، ولم نجد شخصا متخطيا كثيراً من القيود التي تفرضها شؤون الدين والدنيا والفكر والسياسة ونحن الآن في زمن لم يعد التطرق الى مثل هذه الموضوعات من المحرمات والمحظورات. الى جانب ما يقرره القرآن الكريم من سلمية العلاقة بين الناس جميعا انطلاقا مما تفرضه موجبات حرية العقيدة على المستوى العام، فثمة علاقة خاصة دشنها القرآن مع أولئك الذين يشتركون مع الديانة الاسلامية في الأصل الابراهيمي وأعني بهم أهل الكتاب من يهود ونصارى. ولقد ركز القرآن الكريم في تقريره لكيفية بناء علاقة اتباع الديانة الاسلامية مع أتباع الديانتين اليهودية والنصرانية على استصحاب الأصل الذي يجمع بين تلك الديانتين التوحيديتين. وهو حوار معلق بين الاسلام والمسيحية واليهودية. وقد يعود ذلك بحسب رأي الشيخ محمد عبده الى (أن السلطة المدنية في الاسلام تبقى مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة معا)[1]. في حين نرى الدكتور طه حسين في مقالة له بالفرنسية عام ١٩٣٤ تكلم عن الشيخ محمد عبده باجلال كبير، غير أن هذا التقدير لا يمنعه من الاشارة الى (ضعف المنهجية

(١) محمد عمارة: الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، ص٢٢١.

التي اعتمدها هذا المصلح)[٢].

وبحكم عملي ووجودي في فرنسا منذ أكثر من ستة وثلاثين عاما، وعملي باحثاً وأستاذاً في أحدى أهم وزاراتها وهي وزارة التربية والتعليم، لقد كنت طيلة هذه المدة شاهدا على كثير من التحولات الثقافية والفكرية في فرنسا، سواء أكانت هذه التحولات نابعة من عمق الثقافة الفرنسية، أو نابعة من الارادة السياسية. فالثقافة الدينية عندهم هي ثقافة مسيحية. والمسيحية تحمل اليهودية مسؤولية قتل المسيح عليه السلام. وتحميل اليهود هذا الارث ليس فقط لقتلهم عيسى عليه السلام بل كذلك اليهود لا يعترفون بالمسيح كنبي ومرسل.

الآن ومنذ مدة أي منذ عهد البابا يوحنا بولس الثاني، فان هذا البابا لم يبريء اليهود فقط من دم عيسى عليه السلام بل يرى ان الديانة المسيحية هي في الواقع المسيحية اليهودية (الجيدوكريشين). لكون ان جذورهم واحدة، أما الاسلام فهو غريب عن هذين الديانتين. مع انهم يعلمون الحقيقة بأن الاسلام لم يتنكر للشريعة الموسوية بعكس المسيحية التي رفضتها واستبدلت الشريعة بالايمان بالمسيح. وهذه الجذور المشتركة بين المسيحية واليهودية، حسب اعتقادهم، سمحت لهم ببناء المدنية والحضارة الجديدة. وأذكر هنا ماجاء في مذكرات الرئيس الامريكي السابق ريشارد نيكسون عام ١٩٧٨ اذ قال. (نحن لاتخيفنا الترسانة النووية لروسيا ولكن الذي يخيفنا هو الاسلام. وسوف يشهد القرن الواحد والعشرون صراعا طويلا بين الاسلام والغرب)[٣]. والذي يقصد فيه الرئيس الامريكي بصورة غير مباشرة هو الصراع بين الغرب ذي الثقافة المسيحية مع الشرق ذي الثقافة الاسلامية. وهو ما يحاولون الآن أن يضيفوا اليهودية الى المسيحية وهو ما نسمعه اليوم من نغمة اليهودية المسيحية.

(٢) Taha Hussein، l Avenir de la culture en Egypte. Paris 1934

(٣) Memoir president Richard NIXO، Paris 1978.

في هذه الورقة أود أن أثير انتباه المسلمين حول هذه المسألة المهمة وذلك بتعزيز الحوار الصحيح بين الاديان والتأكيد على أن الاسلام هو الاستمرار الطبيعي للديانات الابراهيمية ومكمل وحافظ لها. واذا ما كانت المسيحية رفضت الشريعة الموسوية بكاملها وعوضتها عن طريق الايمان بالمسيح(عليه السلام)، فالاسلام حفظ للشريعة التوراتية أموراً كثيرة مثل الزواج والطلاق والزكاة، والختان وتحريم لحم الخنزير وأكل اللحم الحلال والغسل من الجنابة وتكفين الموتى وغيرها..

وكان المفروض أن يحتج مسلمو العالم على كل أنواع الاساءة للأنبياء(عليهم السلام)، وليس للرسول محمد(صلى الله عليه وآله) وحسب، لأن القرآن لايفرق بينهم قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]. وهذا ما أشار اليه قول الشيخ محسن الاراكي اللأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية يقول: (القرآن هو القاعدة التي يرتكز عليها كل البناء الاسلامي بكافة تفاصيله وجزئياته، ولا بد لكل حكم أو أمر أن ينتهي في منابعه ومنطلقاته الى القرآن)(٤).

فالقرآن الكريم تنزيل قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٢]؛ وقال: ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [سورة يس: ٥]. أي أنه نزل على صدر الرسول(صلى الله عليه وآله) خلال مدة ثلاثة وعشرين عاما. وهو كلام الله سبحانه الى عباده. فالقرآن، كان بمثابة خطاب يومي يعبر عن أحداث يومية حدثت بدون انقطاع لفترة ثلاثة وعشرين عاما متتالية. وهذه الاحداث كانت متصلة بعضها ببعض، ولم تكن أحداثا آنية نشأت من العدم، بل كانت وارثة ثقافة دينية واجتماعية وسياسية سابقة لنزول القرآن الكريم. لذا فانه يجب معرفة ما يأتي:

(٤) محسن الآراكي: محاضرة بعنوان القرآن الكريم أهميته ودوره وكيفية التعامل معه، ٣٠/ رمضان/ ١٤٣٣.

أولا: معرفة الحالة الأجتماعية والدينية والسياسية التي كانت سائدة قبل وخلال نزول القرآن الكريم. وثانيا: لا يمكن فصل دراسة الذات المحمدية عن الظاهرة القرآنية وإلا سوف يكون الشرح والبيان والبحث ناقصا وذلك لاحتواء هذه الذات المحمدية المقدسة على رصيد إنساني وقيمي ومعرفي عال جدا.

المعوقات والمشاكل التي تواجه البحث:

هناك مفاهيم تكونت وتعمقت منذ أجيال في الفكر الثقافي عامة و الديني خاصة للمجتمع الاسلامي. هذه المفاهيم تعد تحدياً لأي بحث في الدراسات القرآنية والتي يجب على الباحث أن يأ خذها بنظر الاعتبار ولا يهملها. ونحن هنا لسنا بصدد حكم بصحتها أو عدم صحتها، وقد نجد هذه المفاهيم متفاوته في قوتها وتأثيرها باختلاف الامم والشعوب وهذه المفاهيم هي:

أولا: من أصول الاعتقاد في الاسلام، أنه خاتم الأديان، وناسخ لجميع الكتب والشرائع التي نزلت قبله قوال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[سورة المائدة: ٣].

ثانيا: تكفير كل من لم يدخل في الاسلام. وأنهم من أهل النار وذلك قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [سورة البينة: ١]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٣٠].

ثالثا: يجب الايمان بأن التوراة والأنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء ذلك في آيات الكتاب الكريم قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ

وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[سورة المائدة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٧٩].

رابعا: أن الاسلام دين يختلف عن الاديان الاخرى غير المسلمة وهو دين ملة محمدﷺ. أما الاديان الاخرى وكأنهم ليسوا بمسلمين.

خامسا: عرب الجاهلية كان أكثرهم مشركين عبدة الأوثان ولم يؤمنوا بالتوحيد الألهي.

المبحث الأول

ترى القرآن في آن واحد قريبا وبعيدا معا من اليهودية، وقريبا وبعيدا معا من المسيحية. فما هو سر القرآن الذي حير العرب والمسلمين في سلوكهم وفي علاقاتهم مع أهل الكتاب؟.

وقبل الأجابة عن هذا السؤال وهو الأول، أود أن أعرج ولو سريعا على السؤال الثاني وبصورة مختصرة جدا وهو: لماذا استعمل القرآن الكريم مفردات غير عربية أو ما تسمى بالأعجمية؟.

وعندما كتبت هذه الأسئلة، لم أكن بعد أتعرف على هذه المجلة المحترمة ولكن بعد اطلاعي عن طريق شبكة الانترنيت وذلك اشارة وفضل أستاذنا الكبير الدكتور حميد هدو، وجدت أن الأستاذ الكبير محمد حسين الصغير سبق أن كتب بحثين في هذا المجال في العددين التاسع والثالث عشر لمجلة المصباح. وليس من السهل الحوار أو الرد على أستاذ كبير شاعر وضالع في اللغة والأدب مثل الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير، الذي يقول: (وإذا كان الأمر كذلك -أي الألفاظ الواردة في القرآن الكريم ليست عربية- فالألفاظ الواردة في القرآن العظيم التي يقال بأنها: أعجمية، سريانية، أو عبرية، أو فارسية، أو حبشية، أو آرامية، قد تكون كلها ذات أصول عربية، استعارتها اللغات الأخرى، وأقترضتها

من اللغة العربية، فهي ليست أقدم من اللغة العربية، والعكس صحيح، ثم جاء القرآن فاستعملها على الأصل، وأعادها سيرتها الأولى) مجلة المصباح العدد ٩.

هنا الباحث يفتح المناقشة على مصراعيها بقوله(قد تكون). أي أنه يفترض فرضية. وهذه الفرضية لأثباتها نحتاج الى البحث والتدقيق. جوابي لأستاذي الكبير هو:

القرآن الكريم يؤكد في آيات عديدة على أنه أنزل بلسان عربي، ومن هذه الأيات قوله تعالى: ﴿ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[سورة النحل: ١٠٣]؛ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٣]؛ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[سورة يوسف: ٢]؛ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [سورة الشورى: ٧].

وفي الوقت نفسه نجد كلمات غير عربية أو أعجمية مستعارة من السريانية والآرامية والفارسية والرومية والحبشية والقبطية والعبرية. ومن هذه الألفاظ: ما جمعه السيوطي في (الاتقان ١: ١٣٨-١٤١) ما ورد في القرآن بغير لغة العرب:

منها قوله تعالى (أخلد) أي ركن. (أسباط) أي قبائل. (أسفار) أي الكتب بالسريانية. (أكواب)أي الاكواز بالنبطية. (الاواه) أي الدعاء بالعبرية. (فناداها من تحتها) أي بطنها بالنبطية. (جهنم) فارسية. (وقالوا حطة) أي صوابا بالعبرية. (حواريون) أي غسالون بالنبطية.

البعض يرى أن هناك تعارضا بين فكرة وجود ألفاظ غير عربية في القرآن وفكرة أن القرآن أنزل وفصل بلسان عربي مبين. فنكون فريقين متضادين ومتقابلين في الرؤيا.

الفريق الأول: يلجأ الى نفي عجمة هذه الكلمات ليؤكد على صفاء عربية القرآن كالطبري والشافعي وحديثا الدكتور محمود حمدي وأستاذي ومعلمي محمد حسين الصغير.

اما الفريق الثاني، فقد لجأ الى الإقرار بوجودها في القرآن، ومنهم: ابن عباس

وعكرمة ومجاهد والسيوطي.

الفريق الأول: هذا الفريق يعتبر عجمية بعض ألفاظ القرآن شبهة يجب ابطالها. ويستند هذا الفريق الى أن كل ما في القرآن من الألفاظ أعجمية أو غريبة لا ينافي كونه بلسان عربي مبين، بل يعضده ويثبته، أما الذي خلف ذلك باطل من عدة وجوه:

الوجه الأول: المقصود باللسان العربي هو ما نطق به العرب، ودار على ألسنتهم، لأنه أصبح من لغتهم وصار عربيا، وان كانت من ألفاظ أخرى. أي أن القرآن الكريم لم يأتِ بكلم جديد لم تعرفه العرب، فقبل أن ينزل القرآن كانت هذه الكلمات شائعة في اللسان العربي. والدليل أن واقع الشعر العربي في الجاهلية الذي نزل القرآن بلغته فقد أشتمل هذا الشعر على ألفاظ معربة من قبل أن ينزل القرآن؛ مثل:

كلمة السجنجل، وهي لغة رومية، ومعناها: المرآة؛ وقد وردت هذه الكلمة في شعر امرئ القيس في قوله:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة =

= **ترائبها مسقولة كالسجنجل**[٥].

وكذلك كلمة الجمان، وهي الدرة المصنوعة من الفضة، وأصل هذا اللفظ فارسي، ثم عرب، وقد جاء في قول الشاعر لبيد بن ربيعة في معلقته:

وتضيء في وجه الظلام منيرة

كجمانة البحري سل نظامها[٦].

والعرب الذين عاصروا القرآن الكريم، وعرضوا دعوة الإسلام، لم يعرف عنهم أنهم نفوا عن تلك الألفاظ أن تكون ألفاظا عربية، وهم كانوا أولى من غيرهم في نفي ذلك لو كان، وهم أجدر أن يعلموا ما فيه من كلمات أعجمية ل يفهموها، أو ليست من نسيج لسانهم العربي المبين. هذا الرأي يدافع عنه أستاذي ومعلمي محمد حسين الصغير في بحثين له في العدد التاسع والعدد الثالث عشر من المجلة العلمية المصباح. وكذلك الدكتور محمود حمدي

(٥) مصطفى عبد الشافي: ديوان أمريء القيس، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٦) احسان عباس: شرح ديوان لبيد بن ربيعة، وزارة الاعلام بدولة الكويت١٩٦٢.

في كتابه حيث يقول: (ان وجود ألفاظ مثل استبرق، سندس، اليَمّ) لأن هذه الألفاظ كانت مألوفة الاستعمال عند العرب قبل نزول القرآن الكريم، وشائعة شيوعا ظاهرا في محادثاتهم اليومية وكتاباتهم الدورية. وقبلهم بقرون كل من الطبري والشافعي، قد نفوا عجمة هذه الكلمات وأكدوا على صفاء عربية القرآن. يقول الطبري (ورود مثل هذه الألفاظ في القرآن مع قلتها وندرتها اذا ما قيست بعدد كلمات القرآن لا يخرج القرآن عن كونه (لسان عربي مبين).

الوجه الثاني: يمكن أن تكون هذه الألفاظ قد وجدت في العربية قبل نزول القرآن بوقت طويل جدا فاستعارتها اللغات الأخرى ونسيها العرب لعدم استعمالها فأحياها القرآن مرة أخرى للوجود. هذا الرأي من أشد المدافعين عنه هو الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير حيث يقول: (فالألفاظ الواردة في القرآن العظيم والتي يُدَّعى أو يقال بأنها: أعجمية، سريانية، أو عبرية، أو فارسية، أو حبشية أو آرامية، قد تكون كلها ذات أصول عربية، استعارتها اللغات الأخرى، واقترضتها من اللغة العربية، فهي ليست أقدم من العربية، والعكس هو الصحيح، ثم جاء القرآن الكريم فاستعملها على الأصل، وأعادها سيرتها الأولى[٧].

الفريق الثاني: هذا الفريق يؤكد على عجمية الألفاظ في القرآن الكريم. حيث لجأ هذا الفريق الى الاقرار بوجود ألفاظ أعجمية من فارسية، سريانية، آرامية، نبطية، رومية، عبرية، في القرآن الكريم. ويمثل هذا الفريق ابن عباس[٨]، وعكرمة[٩]. ومجاهد[١٠]. والسيوطي.

هذا الفريق يأخذ على الفريق الأول

(٧) محمد حسين الصغير: مجلة المصباح العدد ٩ ربيع ١٤٣٣هـ.

(٨) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، صحابي جليل وابـن عـم النبيﷺ. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٩) عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(١٠) مجاهد مـولى السائب بـن أبي السائب المخزومي القرشي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

بأنهم كيف ينكرون الغريب في القرآن، وهو موجود باعتراف العلماء مثل محمد بن مسلم بن قتيبة في كتابه (غريب القرآن)[١١]، وهو يعتبر أول مؤلف وضع في بيان غريب القرآن في القرن الثالث الهجري، وكذلك السجستاني وتفسيره لغريب القرآن[١٢]، ومثله الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات في شرح غريب القرآن)[١٣]، ثم جلال الدين السيوطي، فله كتاب يحمل أسم (مبهمات القرآن)[١٤].

ألا يعد ذلك اعترافا صريحا من هؤلاء العلماء بورود الغريب في القرآن الكريم؟.

(١١) أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(١٢) محمد عبد الواحد: تفسير الغريب في القرآن. دار قتيبة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(١٣) نزار مصطفى الباز: المفردات في شرح غريب القرآن. مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى، ٢٠٠٩م.

(١٤) مصطفى ديب البغى: مقحمات الأقران في مبهمات القرآن، مؤسسة علوم القرآن. بيروت ١٤٠٣ه/ ١٩٨٢م.

ومن العلماء والباحثين المحدثين، الشيخ حسنين مخلوف، مفتي الديار المصرية في النصف الأول من القرن العشرين في كتابه (كلمات القرآن تفسير وبيان)[١٥].

كما أن جميع مفسري القرآن من الطبري، الزمخشري، الجلالين، بن كثير وأخيرا، محمد حسين الطباطبائي والسيد قطب، قاموا بشرح ما رأوه غريبا في القرآن.

فكيف يسوغ القول بإنكار وجود الغريب في القرآن الكريم أمام هذه الحقائق التي لا تغيب عن أحد؟. كذلك خلو الشعر العربي في العصر الجاهلي والذي كان يعتبر ديوان العرب ومنتداهم وخبرهم في كل شيء، خلوه من هذه الألفاظ الغريبة؟. أما وجود كلمتين أو ثلاثاً أستخدمها كل من امريء القيس والشاعر لبيد بن ربيعة، لايبرر وينفي هذا الادعاء.

قال بن عباس: الشعر الجاهلي

(١٥) حسنين مخلوف: كلمات القرآن تفسير البيان. هيئة الاغاثة الاسلامية، ١٩٩٥.

ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن رجعنا الى ديوانه، فالتمسنا معرفة ذلك منه.

كيف يحل هذا التناقض بين الفريقين؟.

حل التناقض بين الفريق الأول الذي ينفي نفيا قاطعا وجود الكلمات الأعجمية في القرآن، لأنها موجودة وأساسها عربي، وبين الفريق الثاني الذي يجزم بوجودها. لحل هذا التناقض بين الرؤيتين يتطلب منا قبل ذلك توضيح بعض الأمور المهمة والتي لها العلاقة بالموضوع وهي:

أولا: إن التوافق والتداخل والاشتراك بين اللغات في بعض الكلمات أمر شائع ومعروف ومألوف، وهو أمر قد قرره دارسو علم اللغات أنفسهم قديما وحديثا. فالتلاقح بين اللغات والتفاعل بينها عبر العصور والأزمان أمر واقع ومقرر. ومنها مسألة التلاقح والتفاعل بين اللغة العربية واللغات الأخرى قد سبقت دعوة الاسلام، وهو أمر مألوف ومشاهد بين لغات الناس اليوم، فهي سنة ثابتة من سنن الاجتماع البشري التي لا تتبدل ولا تتغير بتغير الأحوال والأزمان.

ثانيا: الغريب الذي نسب في كتب العلماء الى القرآن في فترة نزوله كان مفهوما لأصحابه، ولم يرد في رواية أن أصحاب الرسول ﷺ الذين غاب عنهم فَهمُ ألفاظ القرآن من حيث الدلالة اللغوية البحتة. وكل ما وردت مثل: غسلين، قسورة، ابا، فاطر، أواه، حنان؛ غريب نسبي لا مطلق، باعتبار أنه مستعار من لغات أخرى غير اللغة العربية، أو من لهجات عربية غير لهجة قريش التي نزل فيها القرآن.

ثالثا: أن كل ما في القرآن من كلمات غير عربية هي ألفاظ مفردة، بينما القرآن يخلو تماما من تراكيب غير عربية، فليس فيه جملة واحدة من غير اللغة العربية، ووجود مفردات أجنبية في أية لغة، سواء كانت اللغة العربية، أم غير العربية لا يخرج تلك اللغة عن أصالتها.

رابعا: وجود الألفاظ غير العربية

أو الأعجمية قد تعكس صورة الحياة الأجتماعية في مكة. حيث يبين القرآن الكريم بأن هناك جاليات متعددة الأعراق والأجناس والأديان كانت في مكة. ولقد دققتُ فوجدتُ جل الكلمات التي ذكرها أستاذنا الكبير محمد حسين الصغير قد صدرت في السور المكية عدا قليل جدا منها قد صدرت في السور المدنية وهي عبارة عن السور الموجهة ضد اليهود، ومن هذه الألفاظ: دينار، راعنا، الجبت، قنطار، مجوس، ربانيون و حواريون.

خامسا: اللغة اللاتينية تعتبر اليوم اللغة البائدة أو الميتة. كانت اللغة السائدة لمعظم أوربا وخاصة المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط. وموت هذه اللغة يعزوها الباحث الفرنسي المتخصص في اللغات[١٦] الى: عدم تكلم الآباء بها بصورة صحيحة، وعدم تداولها في الحياة اليومية من البيع والشراء والمهن الأخرى، وأخيرا هو مقاومة اللغة اللاتينية لكل ما هو غريب ورفضه.

(١٦) Sylvain AUROUX، comment le Latin est -il devenu une langue mort

المبحث الثاني

حقائق قرآنية:

أولا: وحدة الدين:

الاسلام أصطلاح لدين الله المنزل في الكتاب. القرآن لم يطلق على اليهودية والمسيحية والصابئة بالدين أبدا، بل أطلق القرآن عليهم بالملة. قد يعتبرها القرآن شرائع لدين واحد هو الاسلام. الاسلام موجود قبل القرآن. وكذلك مادة الاسلام هم المسلمون موجودون قبل القرآن. يظن الجاهلون أو المتجاهلون أن هذا الاسلام هو اسلام أمة محمد فقط. اسلام القرآن هو اسلام الكتاب الذي بلغه الرسول محمدﷺ بلسان قومه وهو نفس اسلام النصارى واليهود. قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٣ – ٨٥].

القرآن أخذ الاسلام اسما ومعنى من الكتاب، قوله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[سورة الحج: ٧٨]. أي من قبل القرآن في الكتب المتقدمة.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٨٥].

لم يوجد في القرآن غير هاتين الآيتين تذكر فيهما كلمة الاسلام.

القرآن يطلق بصورة عامة مصطلح المسلمين على غير العرب. أي للديانة التوحيدية قبل نزول القرآن. ويطلق بصورة عامة مصطلح المؤمنين على عرب الجزيرة الذين آمنوا بنبوة الرسول محمد ﷺ.

أما الدين فهو واحد للمسلمين وللمؤمنين وهو الاسلام. الاسلام موجود قبل القرآن وكذلك المسلمون موجودون قبل القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ -هم العرب- وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ -أي اليهود والنصارى - ﴾ [سورة النحل: ١٢]. القرآن يثبت العرب ويطلق عليهم تسمية (المؤمنون)، وفي الوقت نفسه هو بشرى للمسلمين من أهل الكتاب. نجد في الآية الكريمة ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [سورة المائدة: ٨٢].

وهذا هو توضيح كامل لاغبار عليه للمصطلحين هما: المؤمنون والمسلمون. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ

وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة البقرة: ٦٢].

وهناك فقرة في نص ميثاق صحيفة المدينة المنورة يذكر في أحدى فقراته: ان اليهود من بني عوف أمة مع المؤمنين. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين(١٧).

في القرآن ذكرت كلمة المسلمون والمسلمين ومسلم ومسلمة حوالي ٢٤ مرة.

قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ.. . فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[سورة يونس: ٧١-٧٢].

وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٦٧].

(١٧) بسيوني محمود شريف: الوثائق الدولية المعنية بحقوق الانسان، دار الشروق القاهرة ج٢/ ٢٠٠٣م.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾[سورة البقرة: ١٢٧].

والنبي يعقوب والنبي يوسف والنبي سليمان عليهم السلام كلهم أدعوا وصرحوا بأنهم مسلمون [سورة البقرة: ١٣٣]؛ [سورة يوسف: ١٥١]؛ [سورة النمل: ٣١-٣٢].

حتى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[سورة يونس: ٨٤].

اذا كان كل الانبياء صرحوا بأنهم مسلمون ومن معهم من المؤمنين بنبوتهم من نوح الى الرسول محمد صلى الله عليه وآله، فدين هؤلاء هو الاسلام وان أختلفت الشرائع. أي شريعة موسوية وشريعة عيسوية وشريعة محمدية. فإسلام أمة محمد هو اسلام الامم السابقة. ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ و ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾. أما

جوهر هذا الدين الذي أراد الله سبحانه وتعالى من عرب الجزيرة ومن أهل الكتاب هو: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة لقمان: ٢٢] وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة فصلت: ٣٣].

ثانيا: وحدة الكتاب:

عدد مرات تكرار كلمة الكتاب في القرآن هي ٢٣٠ مرة، وكلها ذكرت بالمفرد أي الكتاب وليس الكتب.

قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ .... ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الزخرف: ٣-٤].

فالقرآن هو تبيان أي شرح بلغة القوم. أما الكتاب فهو التنزيل لانه لايتعلق بلغة القوم.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [سورة مريم: ٩٧]؛ وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [سورة ابراهيم: ٤]؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة يونس: ٣٧].

فالقرآن يؤكد بأنه ليس تنزيلاً جديداً. بل الهدف من بعثة النبي محمدﷺ هو غفلة العرب عن معرفة ودراسة الكتاب، كقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٥١]. والله سبحانه وتعالى حقق أمنية ابراهيم واسماعيلعليهما السلام، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٩].

النبي ابراهيمعليه السلام موجود قبل

التوراة والانجيل فيقصد أن يعلمهم الكتاب الاصلي.

القرآن الكريم يقول آتينا موسى الكتاب. وتكررت في سور عديدة، [سورة المؤمنون: ٤٩]؛ [سورة الفرقان: ٣٥]؛ [سورة القصص: ٤٣]؛ [سورة السجدة: ٢٣]؛ [سورة غافر: ٥٣] [سورة فصلت: ٤٥]؛ و[سورة البقرة: ٨٧].

وكلمة آتيناه معناها أعطي. أي أعطي شيئاً موجوداً مسبقا.

ثالثا: هل القرآن يشهد بصحة التوراة ولأنجيل؟.

القرآن يشهد بصحة الكتاب وصحة التنزيل في التوراة والانجيل على زمان الرسول محمدﷺ في الحجاز.

الشهادة الاولى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [سورة البقرة: ١٢١].

قد يكون التحريف الذي يتهم به القرآنُ بعضَ اليهود هو عدم تلاوة الكتاب أي التوراة حق تلاوته أي تلبيس الحق بالباطل حسب تفسيرهم وتأويلهم، وذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٢١].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سورة سبأ: ٦]

فسره الجلالان: (يتلونه حق تلاوته) أي يقرؤنه كما أنزل.

فالكتاب يقرؤه كثيرون من أهل الكتاب في زمن الرسولﷺ في الحجاز كما أنزل.

الشهادة الثانية: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٠١].

أي حسب هذه الآية الكريمة أن القرآن مصدق لما في التوراة والانجيل الذي عندهم وسماه الله سبحانه بكتاب الله أي كتاب منزل. قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ

أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

هذه شهادة جامعة لصحة التوراة والانجيل كله من زمن موسى عليه السلام حتى عهد الرسول صلى الله عليه وآله. وهي شهادة بأن التوراة فيها هدى ونور وانها حكم بها النبيون الذين أسلموا أي ظلت في زمن أنبياء بني اسرائيل وفي زمن عيسى ومحمد. كذلك شهادة القرآن بأنه ظل أهل الكتاب (شهداء) على الكتاب في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، لأن الربانيين والاحبار يحكمون بما استحفظوا من كتاب الله فهو لم يزل في عهد القرآن (كتاب الله). فالقرآن لايمكن أن يسمى (كتاب الله) لو أن عليه شبهة تحريف.

قال الجلالان: (كتاب الله) هو اللوح المحفوظ. هذا غير مقنع. لأن النبي صلى الله عليه وآله لا يمكنه أن يستشهد بكتاب في السماء لا يستطيع أهل الارض أن يتحققوا منه. فـ(كتاب الله) هو على الارض، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ... وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ (أي قبله)... ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[سورة فاطر: ٢٩-٣٢].

الشهادة الثالثة: القرآن يشهد بتنزيل الكتاب الذي يتلوه أهل زمانه. قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ .... ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٤ -١٧٦]. هذه شهادة قاطعة على صحة تنزيل الكتاب الذي وصل الى الحجاز والى الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وصحة تنزيله قائمة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله مهما أختلف أهل الكتاب في تأويله ومهما كتم بعضهم منه على العرب، قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ... نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: ١-٣]. أي أن

التوراة والانجيل لم يزالا هدى للناس حتى زمن الرسول ﷺ. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[سورة المائدة: ٦٨]. هل يصح أن يحمل القرآن أهل الكتاب على اقامة التوراة والانجيل لو كانا فيهما تحريف؟.

وقوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾[سورة المائدة: ٤٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ.... وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[سورة المائدة: ٤٦ -٤٧].

نستنتج مما ذكرنا بأن القرآن يتهم أهل الكتاب بانهم يكتمون الحق ويحرفون الكلم ويقولون على الله بدون علم﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٩٣].

وكان الرسول محمد ﷺ يستغرب من الخلاف الدائر بين اليهود والنصارى وهم يتلون الكتاب الواحد وذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ... ﴾ [سورة البقرة: ١١٣].

فالقرآن يكفر اليهود اذ لم يعملوا بأحكام التوراة ويلومهم لأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ .... ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم ....أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[سورة البقرة: ٨٤ -٨٥]

اذن رغم كل هذه الشهادات بصحة التوراة والانجيل في فترة الرسول محمد ﷺ الا أن هناك مفهوما دينيا لدى المسلمين بأن القرآن الكريم نسخ كل الكتب السماوية التي أنزلت قبله. نعم.. هناك توراة وانجيل انزلت على موسى وعيسى كانت. كما وصفها القرآن الكريم -هدىً ونوراً لمن انزلت عليه وبها احتج القرآن الكريم عليهم ولكن يد الكفر والنفاق والأهواء حرفت هذه

الكتب وقد يكون للترجمات المتعاقبة اثر في ذلك التحريف وهو أمر تسالم عليه كل العلماء والباحثين والمسلمين وغيرهم.

رابعا: أولوا العلم:

تفسير تعابير القرآن تفسيرا لغويا وحسب، يضيع كثيراً من الحقائق القرآنية. إذ أن معنى أولوا العلم هو تعبير مترادف مع تعبير أهل الكتاب. والقرآن الكريم في دعوته نراه قريباً من أهل الكتاب حتى وحدة الأمة، كقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٢]؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[سورة المؤمنون: ٥٢]. هذه الآيات تعبر عن وحدة الأمة. أما وحدة الدعوة، فهي الوحدة بين أهل الكتاب والمؤمنين العرب تجاه المشركين، في قوله سبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [سورة الأنعام: ٨٩-٩٠]. وفي نفس الوقت نرى أن القرآن بعيد عن أهل الكتاب حتى التكفير في آن واحد، بقوله سبحانه: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٧٨].

من هم أهل الكتاب الذين يمتدحهم القرآن، ومن هم أهل الكتاب الذين يكفرهم القرآن؟.

انتساب القرآن وقربه الى الكتاب وأهله، ينتسب خصيصا الى جماعة منهم يجتمع معهم بالأيمان، قوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [سورة النمل: ٩١]. وهؤلاء المسلمون الموجودون قبل القرآن يصفهم القرآن بأنهم أولوا العلم. وهؤلاء هم الذين شهدوا مع الله وملائكته بأن الدين عند الله الأسلام، في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

﴿ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾[سورة آل عمران: ١٨ و ١٩].

مالمراد بأولي العلم الذي عظمهم القرآن هذا التعظيم حيث جمعهم مع الله ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله؟.

والقرآن واضح في اعلانه عن هوية أهل الكتاب اليهود من بني اسرائيل وميزهم عن هوية أهل الكتاب النصارى من بني اسرائيل، اذ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٢ –٥٥].

ويفسر بن كثير هذه الآية فيقول: عن سعيد بن جبير نزلت بحق سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي الى النبيﷺ. وعن عبد الله بن عباس، يقصد به أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمدﷺ.

أما، قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾، مرة أولى ايمانهم بالمسيح، والمرة الثانية ايمانهم بمحمدﷺ.

وهذه الطائفة من أهل الكتاب النصارى أيدها الله سبحانه بنصرهم على بقية الطوائف من أهل الكتاب وذلك بتصديقهم برسالة محمدﷺ، في قوله سبحانه: ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾.

أما الطباطبائي في تفسير القرآن الميزان فيقول: نزلت بحق عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري والعبدي والجارود. ويقال كذلك أنها نزلت في أربعين رجلا من أهل الانجيل كانوا مسلمين بالنبي محمدﷺ قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة اقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه، وثمانية قدموا من الشام ومنهم بحيرا وابرهة والأشرف وأيمن وادريس ونافع وتميم.

اما ابن كثير قي تفسيره فيقول: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم أي نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى،

فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء هم اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ما شاء، ثم رفعه اليه وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ما شاء، ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما، فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمداﷺ.

هنا يعلن القرآن بوضوح تام لا التباس فيه عن هوية النصارى من أهل الكتاب من بني اسرائيل وهم أولوا العلم وهم الذين يستشهدون مع الله والملائكة على صحة دعوة القرآن، وهم الراسخون في العلم، في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾.

أما الطبري وابن كثير فيفسرون الراسخون في العلم بأنها عامة لكل من يعرف المحكم والمتشابه في القرآن.

أنا أعتقد بأن عدم معرفة معظم المفسرين للهوية الحقيقية للنصارى يجعل التفسير غير كامل لبعض السور. بينما نفس هؤلاء المفسرون يفسرون، قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[سورة العنكبوت: ٤٩]، أي أهل الكتاب.

وفي تفسير سيد قطب لسورة القصص الآية ٥٢ -٥٨ يقول: (أهل الكتاب)، هم الذين عرفوا الحق من قبل والاسلام لله هو دين المؤمنين بكل دين. أسلموا لله من قبل ثم صدقوا القرآن بمجرد سماعه. الصبر على الاسلام الخالص اسلام القلب والوجه. ومقابله الهوى والشهوة. والاستقامة على الدين في الأول والآخرة. وصبروا على السخرية والايذاء كما سبقت الرواية. وكما يقع دائما للمستقيمين على دينهم في المجتمعات المنحرفة الضالة الجاهلة في كل زمان ومكان. وقوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾، أي الاحسان وهو أفق العظمة لا يبلغه الا المؤمنون[١٨]. أما قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾[سورة يونس: ٩٤].

(١٨) سيد قطب: في ظلال القرآن.

يشرح سيد قطب هذه الآية حيث يقول: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: هذا التوجيه بشيء ما كان وراءه من شدة الموقف في مكة بعد حادث الاسراء، وقد أرتد بعض من أسلموا لعدم تصديقه. وبعد موت خديجة وأبي طالب، واشتداد الأذى على الرسول ﷺ ومن معه. وبعد تجمد الدعوة تقريبا في مكة بسبب موقف قريش العنيد. وكل هذه الملابسات تلقي ظلالها على قلب الرسول ﷺ فيسري عنه ربه بهذا التوكيد. أما الطباطبائي والزمخشري في تفسيرهما لهذه الآية فيقولون إنهم أهل الكتاب. أما الرازي في تفسيره فيقول ان المقصود هم عبد الله بن سلام، وعبد الله بن صوريا، وتميم الداري، وكعب الأحبار لأنهم هم الذين يوثق بخبرهم.

أما قوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة الأنعام: ٨٩-٩٠].

هذه الآية لها موقع خاص بالنسبة لهذا الموضوع الذي بين أيدينا. عدم بيان هذه الحلقة بصورة دقيقة وهي مسألة تعريف هوية النصارى في التأريخ العربي الاسلامي والذي سوف يعيق من الوضوح في تفسير الظواهر القرآنية وحتى على يد أكبر المفسرين. وهذه الآية تعدّ الآية الكاشفة لهذا المجال البحثي والرأي المزمع.

حساسية هذه تكمن في:

أن الله سبحانه وتعالى يرشد الرسول ﷺ الى أن يقتدي بهدى هؤلاء. وهو خاتم الانبياء والرسل، فمن هم هؤلاء؟. فلنقف على رأي المفسرين في ذلك.

ابن كثير والزمخشري يفسرونها: فان يكفر بها، وهو ضمير يعود الى الكتاب والحكم والنبوة. وهؤلاء أي أهل مكة. أي فان يكفر أهل مكة بالكتاب والحكم والنبوة، وذلك بقوله سبحانه: ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾.

ويفسرون القوم والمراد بهم الأنبياء

أو المهاجرين والأنصار. وعن مجاهد حسب تفسير ابن كثير القوم هم الفرس. وأختلفوا في القوم الذي يهتدي بهم النبي محمدﷺ. يقولون المراد بهم أصحاب النبي، أو الأنصار ادعوا بأن هذه الآية تخصهم. وقيل أنهم الفرس. وقيل إنهم الأنبياء لأن الآية التي سبقت هذه الآية تتكلم عن الأنبياء. وقيل هم الملائكة.

ونحن نرى -والله أعلم -أن كل هذه التفاسير لا تنسجم مع نسق الآية الكريمة. إذ لا يمكن للرسولﷺ أن يهتدي بقومه الذين هم اهتدوا به ودخلوا في دينه. وكذلك أن كثيراً من قومه أرتدوا.

أما أن يقتدي الرسولﷺ بالملائكة هذا أيضا صعب قبوله لأن الملائكة هم عباد مسيرون ومأمورون بأمر الله. أما أن يقتدي الرسول الاعظمﷺ بالفرس أو العجم حسب قول بعضهم، فهؤلاء قد دخلوا الاسلام من بعد الرسولﷺ. أما الاقتداء بالأنبياء هذا أكثر قبولا من الطروحات السابقة، الا أن الأنبياء لم يكونوا أحياء، وأن الاسلام نسخ الشرائع التي سبقته، اذن يصعب قبول هذا التفسير.

أعود وأسأل: لماذا كل هذه الفرضيات في تفسير آية واحدة. واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب؟. أقول لو ان أحدنا اشترى دواءً لعلاج مرض وكتب عليه: هذا الدواء اما يرفع الحرارة أو يخفض الحرارة. هل يقبل استخدامه أحد؟. لماذا هذا كتاب الله أصدق الكتب وأطهرها وأنقاها، وأصفاها، لم نستطع أن نرى ظواهره بصورة واضحة؟. أحدهم يقول المقصود العجم، والآخر الملائكة، والآخر الأنصار، والآخر المهاجرين والأنصار، والآخر هم الأنبياء. ماهو الرابط بينهم؟. قسم يعيشون في السماء، وآخرون في الأرض. وقسم أحياء وآخرون أموات. وقسم في الحاضر وآخرون في المستقبل. هذه الظاهرة التفسيرية تعم معظم منهج التفسير ومع الأسف ليومنا هذا.

قبل أن أعرض رأيي في هذه المسألة، أود أن أعرض رأي العلامة الطباطبائي

في تفسيره لسورة الأنعام الآية ٩٠ يقول: من هم هؤلاء القوم؟. دلالة على أن لهم خطرا عظيما. فقد أختلف فيها أقوال المفسرين.

فالآية تدل -والله أعلم -(والكلام للطباطبائي)، على أن الله جعل في كل زمان عبدا أو عباداً موكلين بالهداية الالهية والطريقة المستقيمة التي يتضمنها ما آتاه أنبياءه من الكتاب والحكم والنبوة ويحفظ الله بهم دينه عن الزوال وهدايته عن الانقراض. ولا سبيل للشرك والظلم اليهم لأعتصامهم بعصمة الهية وهم أهل العصمة من الأنبياء الكرام وأوصياءهﷺ. (فبهداهم اقتده) الأتباع بهداهم لا بهم. لأن شريعته ناسخة لشرائعهم وكتابه مهيمن على كتبهم (فبهداهم) فمجرد نسبة تشريفية فلم يقل الله (فبهم اقتده)، بل قال (فبهداهم اقتده).

السيد الطباطبائي هنا في تفسيره لم يحدد من هم؟. وما هي هويتهم؟. لكن هذا التفسير ينقلنا الى ظاهرة موجودة في القرآن ولم يذكرها السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية وهي قصة النبي موسىﷺ مع العبد الصالح.

فالتذكير بقصة موسىﷺ والعبد الصالح، هي اشارة بحثية لآية الأنعام ٩٠. فاقتداء الرسولﷺ ليس انتقاصاً له، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[سورة الكهف: ٦٥-٦٦].

هذه الآية يفسرها السيد الطباطبائي اذ يقول: انها نعم الهية باطنية. أي أن هناك عبداً من عباده عنده من العلم ماليس عند موسى. علم الغيبيات.

أما السيد محمد حسين فضل الله فيفسر آية الأنعام ٩٠ بقوله: لقد وقف المفسرون أمام هذه الفقرة ليحددوا شخصية هؤلاء الذين وكلهم الله بالرسالة، واختلفوا حول هذا الأمر، ونحن لا نظن بأن الآية واردة في الحديث عن عدم سقوط الرسالة وانتهاء المسيرة بكفر الكافرين... فلنقف حيث يريد الله لنا أن نقف ولنوفر على أنفسنا جهد

البحث في مالا سبيل لنا للأحاطة به، ولا فائدة لنا في الوقت عنده. (اقتده) أي اقتد بهدى الأنبياء. (محمد حسين فضل الله تفسير سورة الأنعام).

أما رأي الباحث في تفسير هذه الآية هو: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾. أولا يجب ان نحدد بدقة من هم هؤلاء الذين أعطوا ثلاث نعم؟. أي الكتاب والحكم والنبوة.

القرآن يعلن بأنه أعطاها الى نوح، وابراهيم، وموسى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [سورة الحديد: ٢٦]؛ وكذلك قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الجاثية: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧٩].

اذن قوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾، من هم؟. هل هم من نسل نوح عليه السلام، أم من نسل ابراهيم عليه السلام، لأن الاثنين أجتمعت فيهم الكتاب والنبوة وأورثاها أولادهم، ام يقصد القرآن به موسى عليه السلام ومن وراءه أنبياء بني اسرائيل؟.

القرآن واضح هنا. لأنه يقصد به أهل الكتاب في الجزيرة والذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وآله. ولم يوجد في الجزيرة الا الذين هم من امتداد بني اسرائيل أي اليهود والنصارى. اذن ممكن القول بأن قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ هم من بني اسرائيل اليهود والنصارى.

وقوله سبحانه: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي أهل الكتاب، وهم اليهود، في قوله سبحانه: ﴿ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾، وكذلك مسيحيو نجران، في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾، المقصود

به قوم من أهل الكتاب، والمقصود بهم فرقة من النصارى وهم أولوا العلم؛ وذلك في قوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾. أي يقتدي الرسول ﷺ بهدى اولي العلم النصارى اذا صح هذا التفسير.

السؤال الآن هو: هل هؤلاء النصارى، ان صحة الفرضية، هم المقصودون، أعطاهم الله سبحانه من العلوم الغيبية والباطنية كما أعطاها الى عباده مثل الخضر عليه السلام؟.

أولا: بن هشام في سيرته (١: ١٩٠-١٩٤) يقول: خرج محمد وكان صبياً ذا ١٢ سنة في تجارة مع عمه أبي طالب ولقى الراهب بحيري ونصح الراهب أبا طالب بأن يحفظ محمداً من اليهود لأنه سوف يكون له شأن كبير.

ثانيا: صحيح البخاري (١: ١٨-١٩) ومسلم (١: ٩٧ -٩٨): أنطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وكان امرءً تنصر في الجاهلية، فأخبرته بما أخبرها به محمد ﷺ، أنه رأى وسمع؛ فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وانه لنبي هذه الأمة. فقولي له فليثبت.

اذا كانت هذه السير والقصص صحيحة؛ ألم يعط الله لهؤلاء العباد علما باطنيا مثل ما أعطاه الى العبد الصالح مع موسى عليه السلام؟. ألم يكن الأثنان هم من قوم موسى نصارى؟. هل يوجد غيب أعظم من غيب الراهب بحيري الذي يتنبأ بأمر عظيم قبل ٢٨ سنة وهو نبوة محمد ﷺ ؟.

هؤلاء هم أول من التحقوا بالحنيفية، أليس هؤلاء شهدوا مع الله والملائكة؛ أليس هم أمة من قوم موسى يهدون بالحق؛ أليس هم أمة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون. هؤلاء هم الذين يقصدهم القرآن. قد أراد الله سبحانه في هذه الآية وغيرها إعطاءهم مكانة خاصة عند العرب آنذاك، كما أعطى لأهل بيته عليهم السلام مكانة خاصة بين البيوت؟.هذا مايجب أن نقف عنده في بحث مستقل.